الصَّمْتُ وحفظ اللسان

صمت سيدنا محمد رسول الله ﷺ

أخرج أحمد والطبراني في حديث طويل عن سماك قال: **قلت لجابر بن سَمُرة رضي الله عنه: أكنتَ تجالسُ النبيَّ ﷺ؟ قال: نعم، وكان كثير الصَّمْت.** قال الهيثمي (١٠/ ٢٩٧): ورجال أحمد رجال الصحيح غير شَريك وهو ثقة؛ وأخرجه ابن سعد (١/ ٣٧٢) عن سماك نحوه.

وعند الطبراني عن أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه عن أبيه قال: **كنا نجلسُ عند النبيِّ ﷺ ونحنُ غلمانٌ فلمْ أرَ رجلاً كان أطولَ صَمْتاً من رسول الله ﷺ، فكانَ إذا تكلَّم أصحابُهُ فأكثروا الكلام تَبَسَّمَ.** قال الهيثمي (١٠/ ٢٩٨): وفيه إبراهيم بن زكريا العجْليّ وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج الطبراني عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه: **أنَّ رسول الله ﷺ خَرَجَ ذاتَ يوم فسار على راحلته وأصحابه معه لم يتقدّم منهم أحدٌ بين يديه، فقال مُعاذ بن جبل: يا رسولَ الله أسألُ الله أنْ يَجْعَلَ يومَنا قبل يَوْمِكَ، أرأيتَ إن كانَ شيءٌ، ولا يرينا الله ذلك ـ أيُّ الأعمال نعملها بعدك، فسألتْ رسول الله ﷺ، قال: «الجهادُ في سَبيلِ اللَّهِ» قلت: بأبي أنتَ وأمي يا رسولَ الله قال: «نِعْمَ الشَّيءُ الجهادُ في سبيلِ اللَّهِ، وعاد بالناس أملك من ذلك»، قال: الصّيام والصّدقة، قال: «نعم الشيء الصيام والصدقة، وعاد بالناس أملك من ذلكَ»، فذكر مُعاذ كلَّ خير يعلمه. كل ذلك يقولُ رسول الله ﷺ: «وعَادَ بالنّاس أملك من ذلك»، قال: يا رسول الله عاد بالناس أملك من ذلك؟ فأشار رسول الله ﷺ إلى فيه، قال: «الصَّمْتُ إلاّ مِنْ خَيرٍ»، قال: وهل نؤاخذ بما تكلمت ألسنتنا؟ فضرب رسول الله ﷺ على فخذ مُعاذٍ ثم قال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّك!! ـ وما شاء الله أن يقول ـ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ على مَناخرهمْ في جَهَنَّمَ إلا ما نَطقتْ به ألسنتُهُمْ، فمَنْ كان يُؤمنُ باللّه واليوم الآخر فَلْيَقُلْ خيراً أوْ ليسْكُتْ عَنْ شَرٍّ، قولوا خَيراً تَغْنَموا، واسْكُتُوا عنْ شرٍّ تَسْلموا».** قال الهيثمي (١٠/ ٢٩٩): رجاله رجال الصحيح غير عمرو بن مالك الجنْبي وهو ثقة. انتهى.

صمت أصحاب النبي ﷺ

قوله عليه السلام في شهيد: لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه

أخرج أبو يَعْلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قُتل رجلٌ على عهد رسول الله ﷺ، قال: فبكت عليه باكيةٌ فقالت: واشهيداه! قال: فقال النبي ﷺ: «مهْ، ما يُدريك أنّهُ**

شَهِيدٌ؟! وَلَعَلَّهُ كانَ يَتَكَلَّمُ فيما لا يَعْنِيهِ، وَيَبْخَلُ بما لا يَنْقُصُهُ» وفيه عصام بن طَليق وهو ضعيف كما قال الهيثمي (١٠/ ٣٠٣). وعنده أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: **استشهدَ رجلٌ منا يوم أُحُد، فَوُجِدَ على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت: هنيئاً لكَ يا بنيَّ الجنة! فقال النبيُّ ﷺ: «وما يُدْرِيكِ لَعَلَّهُ كانَ يَتَكَلَّمُ فيما لا يَعْنِيهِ، وَيَمْنَعُ ما لا يَضُرُّه»** وفيه يحيى بن يَعْلى الأسلمي وهو ضعيف، كما قال الهيثمي؛ وأخرجه الترمذي عن أنس مختصراً كما في المشكاة.

صمت عمار ومعاذ وقول الصدِّيق في لسانه

وأخرج أبو نُعيم في الحلية (١/ ١٤٢) عن خالد بن نُمير قال: **كان عمار بن ياسرٍ رضي الله عنهما طويلَ الصمت، طويلَ الحزن والكآبة، كان عامّة كلامه عائذاً بالله من فتنته**[1]. وأخرج الحاكم (٣/ ٢٦٩) عن أبي إدريس الخَوْلاني قال: **دخلت مسجد دمشق، فإذا أنا برجل برَّاق الثنايا، طويل الصمت، وإذا الناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه، فسألت عنه فقيل: مُعاذ بنُ جبل رضي الله عنه.**

وأخرج بو يعْلى عن أسلم: **أنَّ عمر رضي الله عنه اطَّلع على أبي بكر رضي الله عنه وهو يمدُّ لسانه، فقال: ما تصنعُ يا خليفة رسول الله ﷺ؟ فقال: إنَّ هذا أوردني الموارد، إنَّ رسول الله ﷺ قال: «ليس شيءٌ من الجسد إلا يشكو ذرب اللِّسان»**[2]. قال الهيثمي (١٠/ ٣٠٢): رجاله رجال الصحيح غير موسى بن محمد بن حيّان وقد وثقه ابن حبان. اهـ؛ وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٣) عن أسلم مختصراً.

زجر ابن مسعود وابن عباس للسانيهما

وأخرج الطبراني عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه: **أنه ارتقى الصفا**[3] **فأخذ بلسانه فقال: يا لسان**[4]**، قل خيراً تغنم، واسكتْ عن شرّ تسلم من قبل أن تندم، ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أكثرُ خطايا ابن آدم من لسانه»**. قال الهيثمي (١٠/ ٣٠٠):

---

(١) أي كان يتعوذ بالله من الفتن وهي امتحان الله للعبد بالذنوب أو فتن الاختلاف والقتال وغيرها. راجع «النهاية» (٣/ ٤١٠).

(٢) «ذرب اللسان»: حدّة اللسان، لا يبالي ما قال. «النهاية» (٢/ ١٥٦).

(٣) الصفا: مكان مرتفع من جبل أبي قبيس، بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود والمشعر الحرام. «معجم البلدان» (٣/ ٤١١).

(٤) في الأصل «اللسان» والتصويب من «الترغيب» (٣/ ٥٣٤).

رجاله رجال الصحيح. وأخرج أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٢٨) عن سعيد الجريري عن رجل قال: رأيتُ ابنَ عباس رضي الله تعالى عنهما أخذ بثمرة لسانه[١] وهو يقولُ: ويحكَ!! قُلْ خَيراً تغنم، واسكتْ عن شرّ تسلم. فقال له رجل: يا ابن عباس، ما لي أراكَ آخذاً بثمرة لسانك تقولُ كذا؟ قال: إنّه بلغني أنّ العبدَ يومَ القيامة ليس هو على شيء أحنَقَ منه على لسانه.

صمت شدّاد بن أوس منذ بايع النبي عليه السلام

وأخرج أبو نُعيم في الحلية (١/ ٢٦٥) عن ثابت البُناني قال: قال شدّاد بن أوس رضي الله عنه يوماً لرجل من أصحابه: هاتِ السُّفرة[٢] نتعلل بها[٣]. قال: فقال رجلٌ من أصحابه: ما سمعتُ منك مثل هذه الكلمة منذ صحبتك فقال: ما أُفلتت[٤] مني كلمة منذُ فارقتُ رسول الله ﷺ إلا مزمومةً مخطومةً[٥]، وايمُ الله لا تنفلتُ غير هذه. وعنده أيضاً عن سليمان بن موسى أن شدّاد بن أوس رضي الله عنه قال يوماً: هاتوا السفرة نعبث بها. قال: فأخذوها عليه، قال: انظروا إلى أبي يَعْلى[٦] ما جاء منه! فقال: أي بُنيّ أخي، إني ما تكلّمتُ بكلمة منذ بايعتُ رسول الله ﷺ إلا مزمومة مخطومة قبل هذه، فتعالوا حتى أُحدّثكم وَدَعُوا هذه وخذوا خيراً منها: اللهمّ إنّا نسألكَ التثبُّت في الأمر، ونسألك عزيمةَ الرشد، ونسألكَ شكرَ نِعْمَتِكَ وحسنَ عبادتِكَ، ونسألكَ قَلْباً سَليماً ولساناً صادقاً، ونسألكَ خيرَ ما تعلم وَنَعُوذُ بكَ مِنْ شَرّ ما تعلم. فخُذوا هذه وَدَعُوا هذه. كذا رواه سليمان بن موسى موقوفاً، رواه حسّان بن عطية عن شدّاد بن أوس مرفوعاً، ثم أسند أبو نُعيم روايته نحو ما تقدم وفيه: فلا تحفظوها عليّ واحفظوا عني ما أقولُ لكم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كَنَزَ النّاسُ الذَّهَبَ والفِضَّةَ فاكنزوا هؤلاء الكَلِماتِ: اللهمَّ إنّي أسألُكَ الثّباتَ في الأمرِ، والعَزِيمَةَ على الرُّشدِ» ـ فذكر مثله وزاد: «وأَسْتَغْفِرُكَ لِما تَعْلَم إنَّكَ أنتَ عَلاّمُ الغُيوبِ».

---

(١) «ثمرة لسانه»: أي بطرفه. «النهاية» (١/ ٢٢١).

(٢) «السُّفرة»: طعام يتخذه المسافر وأكثر ما يحمل في جلد مستدير، فنقل اسم الطعام إلى الجلد وسُمّي به. «النهاية» (٢/ ٣٧٣).

(٣) «نتعلّل»: نتشاغل بها.

(٤) «ما أفلتت»: ما تخلصت وما خرجت.

(٥) «مخطومة»: أي أربطها وأشدّها، يريد الاحتراز فيما يقوله، والاحتياط فيما يلفظ به «النهاية» (٢/ ٥١).

(٦) كنية شدّاد بن أوس: أبو يعلى «أسد الغابة» (٢/ ٥٠٧).

وأخرجه أبو نعيم أيضاً (١/ ٢٦٦) من طريق أبي الأشعث الصنعانيّ وغيره مرفوعاً نحوه، وأخرجه أحمد من طريق حسان بن عطية عن شدّاد نحوه، كما في التفسير لابن كثير (٢/ ٣٥١).

قول ابن مسعود في خطر اللسان

وأخرج أبو نُعيم في الحلية (١/ ١٣٤) عن عيسى بن عقبة قال: **قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: والذي لا إله إلا هو ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طُول سجنٍ من لسانٍ.** وأخرجه الطبراني نحوه بأسانيد ورجالها ثقات كما قال الهيثمي (١٠/ ٣٠٣). وعند الطبراني أيضاً عن ابن مسعود قال: **أنذركم فُضولَ الكلام، بِحَسْبِ أحدكُم أنْ يبلُغ حاجَتَهُ**، وفيه المسعودي وقد اختلط، كما قال الهيثمي. وعنده أيضاً عنه قال: **أكثرُ الناس خطايا يومَ القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل**، ورجاله ثقات كما قال الهيثمي.

ترغيب علي وأبي الدرداء في الصمت

وأخرج ابن أبي الدنيا في الصمت عن عليّ رضي الله عنه قال: **اللسانُ قوامُ البَدَن، فإذا استقام اللسانُ استقامتِ الجوارحُ، وإذا اضطرب اللسانُ لم تَقُمْ له جارحةٌ.** وعنده أيضاً عنه قال: **وَارِ[1] شَخْصَكَ لا تُذكر، واصْمُتْ تسْلَم.** وعنده أيضاً عنه قال: **الصمتُ داعيةٌ إلى الجنة.** وعنده أيضاً عنه قال:

لا تُفْشِ سِرَّكَ إلا إليكَ ... فإنَّ لكلِّ نصيحٍ نصيحا

فإني رأيتُ غُواةَ الرِّجالِ ... لا يدعون[2] أديماً صحيحا

كذا في كنز العمال (٢/ ١٥٨). وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: **تعلَّموا الصَّمْتَ كما تعلَّمُون الكَلام، فإنَّ الصَّمْتَ حلم عظيمٌ، وكُنْ إلى أنْ تسْمع أحرصَ منك إلى أنْ تَتَكلَّمَ ولا تتكلمَ في شيءٍ لا يعنيك، ولا تكن مضحاكاً من غير عجب، ولا مشاء إلى غير أرَبٍ[3].** كذا في الكنز (٢/ ١٥٩) وعند أبي نُعيم في الحلية (١/ ٢٢٠) عنه قال: **ما في المؤمن بضعة أحبُّ إلى الله عز وجل من لسانه، به يدخله الجنة. وما في الكافر بضعة أبغضُ إلى الله عز وجل من لسانه، به يدخله النار.**

قول ابن عمر وأنس في حفظ اللسان

وأخرج أبو نُعيم في الحلية (١/ ٣٠٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **أحقّ ما**

---

(١) «وارِ»: من المواراة.
(٢) «لا يدعون»: لا يتركون.
(٣) «أرَب»: حاجة. «المختار».

طهّر العبد لسانه. وأخرج ابن سعد (٧/ ٢٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **لا يتقي (الله) عبدٌ حتى يخزن من لسانه**.

الكلام

كلام سيدنا محمد رسول الله ﷺ

وصف الصحابة لكلامه عليه السلام

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها: **أنّ رسول الله ﷺ كان يحدّث حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه**. وعنه أيضاً عنها قالت: **ألا أعجّبك، أبو فلان جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدّث عن رسول الله ﷺ يسمعني ذلك وكنتُ أسبّح**[1]، **فقام قبل أن أقضي سُبْحتي، ولو أدركته لرددتُ عليه، إنّ رسول الله ﷺ لم يكن يَسْرُدُ**[2] الحديث كسردكم. وقد رواه أحمد ومسلم وأبو داود وفي روايتهم: **ألا أعجّبك من أبي هريرة** ـ رضي الله عنه ـ **فذكرتْ نحوه**؛ وعند أحمد عنها قالت: **كان كلامُ النبيّ ﷺ فَصْلاً يفهمه كلُّ أحدٍ، لم يكن يَسْرُدُ سَرْداً**، وقد رواه أبو داود. وعند أبي يَعْلى عن جابر رضي الله عنه أو ابن عمر رضي الله عنهما قال: **كان في كلام النبيّ ﷺ ترتيلٌ أو تَرْسيلٌ**[3]. وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه: **أنّ رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة ردّدها ثلاثاً، وإذا أتى قوماً يسلّم عليهم سلّم ثلاثاً**، ورواه البخاري. وعند أحمد عن ثُمامة بن أنس رضي الله عنه: **أنّ أنساً كان إذا تكلّم تكلّم ثلاثاً، ويذكر أنّ النبيّ ﷺ كان إذا تكلّم تكلّم ثلاثاً وكان يستأذن ثلاثاً**. وعند الترمذي عن ثُمامة عن أنس رضي الله عنه: **أنّ رسول الله ﷺ كان إذا تكلّم يعيدُ الكلمة ثلاثاً لتُعقل عنه**، ثم قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وعند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بُعِثْتُ بجوامع الكَلِم، ونُصِرْتُ بالرُّعب وبينا أنا نائمٌ أُتيتُ بمفاتيح خزائنِ الأرْضِ فوُضِعَتْ في يدي»**؛ وهكذا رواه البخاري. وعند ابن إسحاق عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: **كان رسول الله ﷺ إذا جلس يتحدّث كثيراً ما يرفع طَرْفه إلى السماء**، وهكذا رواه أبو داود في كتاب الأدب من حديث ابن إسحاق. كذا في البداية (٦/ ٤٠ و٤١).

---

(١) «سبّح»: أطلقت هذه اللفظة هنا على صلاة التطوع والنافلة. «النهاية» (٢/ ٣٣١).

(٢) «يسرد»: لم يكن يتابعه ويستعجل فيه.

(٣) «الترسيل»: يقال ترسّل الرجل في كلامه ومشيه إذا لم يعجلْ وهو والترتيل سواء. «النهاية» (٢/ ٢٢٣).